

الذات وحضارة الآخر: البحترى وبييتس

تتمحور الملاحظات التالية حول نصين شعريين متفاوتين كل التفاوت في ظروف الزمان والمكان، وفي ملابس الثقافة والسياسة والاجتماع، نصين يمتدان عبر القرون ليلتقيا رغم كل ما يحوطهما من تفاوت حول إشكالية حضارية - ثقافية معقدة في جوهرها ولست أطمع في ملاحظاتي التالية إلى أكثر من إيضاحها وطرح بعض التصورات حولها. أما النصان فأحدهما لشاعر عربي نعرفه جيداً ونعرف نصه، والآخر لشاعر غربي أيرلندي قد لا يكون معروفاً بنفس القدر. الشاعر العربي هو أبو عبادة البحتري، واحد من قمم الشعر العباسي والعربي عموماً، وصاحب القصيدة العظيمة الموسومة بـ «السينية» وهي القصيدة التي أقرنها هنا بقصيدة للشاعر وليم بييتس الذي يعد من أكبر شعراء الإنجليزية في القرن العشرين، عنوانها «الإبحار إلى بيزنطة».

تجتمع قصيدتا البحتري وبييتس حول قضية حاولت اختزالها في عنوان هذه المقارنة اختزالاً قد لا يخلو من الإبهام. فقد قصدت بـ «الذات وحضارة الآخر» تلك المواجهة التي تحدث بين الذات بوصفها تنتمي إلى ثقافة ما وبين حضور ثقافي مختلف في ثقافة تلك الذات. أو بعبارة أخرى هي وقفة الذات إزاء ثقافة أخرى وجدت مكاناً مؤثراً لها في ثقافة الذات. وما أصفه ليس غريباً أبداً، فهو أساساً الوضع الذي يعيشه عالمنا العربي اليوم في خضم التأثير الثقافي الهائل القادم من الغرب، التأثير الذي لا يمكن إنكاره مهما تعددت المواقف إزاءه.

إن مواجهة الذات لحضارة الآخر مواجهة تاريخية حتمية لكونها جزءاً أساسياً من المواجهات المستمرة بين الشعوب بثقافات وحضاراتها المختلفة. والذات هنا هي